قضية

استملكوه!

بيار أبي صعب

ماذا يبقى من المدن حين يأتي العمران على حساب الروح؟ يكفي أن نتأمّل في «إعادة إعمار» بيروت التي تعرّى من نفسها كلّ يوم أكثر، على أنغام: البزنس بخير، لبنان بخير. إنّها لمعادلة فريدة: ذهنيّة رعويّة في زمن العولمة، ونفسيّة تاجر الكشّة في عزّ هيمنة السوق. الحصيلة بلد مقامر وانتحاري، تحرّكه المصالح الضيّقة والأهواء والعصبيّات. بلد كل شيء فيه للاستثمار والبيع: القضايا الكبرى قبل سواها. تقول لوزير الثقافة: سيقفل «مسرح بيروت»، يجيبك: ما همّ، سنبني أوبرا بدلاً منه. «أوبرا»؟ كما ننتظر «المكتبة الوطنيّة» منذ سنوات على الأرجح. كما ستبنى «دار الثقافة والفنون» (هل يعرف عنها شيئاً؟). كما تعمل الدولة بكل قواها على تطوير الكونسرفاتوار الوطني وتحديثه. كما ينتظر الـ«بيكاديللي» أن يأتي مستثمر ويبتلعه. كما ستفاجئنا شركة بريطانيّة بفندق سوبر دو لوكس مكان «التياترو الكبير».

معالي الوزير لم يكن قد سمع بقضيّة «مسرح بيروت» من أساسها، حين ذهبت إليه زميلتنا. نشط واستفسر وأصدر بياناً، واعتبر أن مهمّته تنتهي هنا. الذنب ليس ذنبه، بل ذنب المؤسسات الهشّة وديموقراطيّة المحاصصة. يفترض بوزير ثقافة آت من المشروع السياسي الذي ينتمي إليه غابي ليّون، أن يجعل من الدفاع عن التراث المادي وغير المادي لبيروت ولبنان قضيّته الأولى. كلا، معالي الوزير، لستَ «غلبان»، بإمكان وزارتك وحكومتك أن تنقذ هذا المكان الذي لن يعوّضه أي مبنى آخر من زمن «الإعمار». لعلّك سمعت بـ«غودو» الذي دعاه عصام محفوظ وشكيب خوري ذات مرّة إلى «مسرح بيروت»، يوم كانت المدينة مختبر الحريّة والنهضة والعدالة والعروبة. هل تعرف بطل بيكيت الشهير، سيّدي الوزير؟ الشباب الذي سيحتشد غداً، تحت نافذتك، يطالبك بحماية ذاكرة «غودو» من غزو الهمبرغر والبترودولار ... تلك مهمّة وزير الثقافة أساساً! بوسع الدولة أن تستملك «مسرح بيروت». اتركوا لنا بقيّة روح في هذا الماخور العظيم.

مسرح بيروت
إنّهم يقتلون ذاكرتنا

تحرّك الفرصة الأخيرة... في انتظار البرابرة

زينب مرعي

«مسرح بيروت» في عين المريسة يعيش آخر أيامه. هذا ما يشعر به ويتوقّعه الفنانون... لقد اختار هؤلاء أن ينظموا طوال هذا الشهر برنامجاً وداعيّاً في المسرح يتضمّن أمسيات وعروضاً. فيما تداعى المسرحيّون والمثقفون إلى وقفة احتجاجيّة غداً أمام وزارة الثقافة، رامين الكرة في ملعب الوزير (الذي تنصّل منها سلفاً) وحكومته. الدولة اللبنانيّة التي طالما كانت الثقافة آخر اهتماماتها، آن الأوان لأن تتحرّك لإبقاء هذا الصرح.

«مسرح بيروت» شاهد على العصر الذهبي للثقافة في لبنان، بقي ينبض إلى اليوم بفضل مبادرة فريدة لأحد أصحاب العقار السابقين، سعيد سنّو وزوجته. في 1965، افتتح سنّو «مسرح بيروت» لتنطلق في المدينة تجربة خاصة. اختار أن يعطيه اسم «تياتر دو بيروت» ليبعد عنه شبهة الخفّة التي ارتبطت بمصطلح «مسرح» ذلك الوقت! وسرعان ما صار المسرح «مختبراً للمسرح اللبناني في الستينيات، ونافذة على التجديد وتجارب العرب في التسعينيات»، بحسب الروائي إلياس خوري. بالنسبة إلى الفنانين الذين تعاقبوا على «مسرح بيروت»، كان نجاح العمل المسرحي أهمّ من أي شيء لسنّو. ويرى روجيه عساف اليوم أنّه «بإقفال «مسرح بيروت»، يموت شيء من هذا الفكر الذي سمح بازدهار الفن والمسرح في الستينيات».

دفاعاً عن تلك الذاكرة، وللحؤول دون إقفال المسرح في نهاية الشهر الحالي، يعتصم الفنانون عند العاشرة والنصف من صباح غد أمام وزارة الثقافة في الحمرا بهدف «ضمان ديمومة «مسرح بيروت» واحتجاجاً على غياب دور الدولة ووزارة الثقافة في وضع سياسة ثقافيّة تحمي الفضاءات الثقافيّة والفنيّة في لبنان».

لكن ماذا سيحلّ بالمسرح بعد الإقفال؟ يبدو الأمر مبهماً حتى للممثّل عصام بو خالد الذي أعاد مع مجموعة من زملائه افتتاح «مسرح بيروت» عام 2009. يؤكّد بو خالد أنّه لا يدرك ما سيؤول إليه المسرح. خبر هدم المبنى الذي يشاع منذ سنوات، وإنشاء مركز تجاري مكانه لم يؤكّده أحد. كذلك هناك مَن أخبره بأنّ المبنى والمسرح قد يبقيان على حالهما، لكن «بعد نزع هوية مسرح بيروت» ليؤجَّر باسم آخر.

ويضيف بو خالد: «لا أحد يعطينا معلومات دقيقة. يكتفون بإخبارنا بأنّ الأمور ستتضح مع نهاية الشهر الحالي». سعيد سنّو بدوره يؤكّد أنّ الورثة الآخرين في المبنى من آل سنّو أيضاً، ومالكي المسرح الجدد سيؤجّرون المسرح باسم آخر. يضيف سعيد سنّو أنّهم رفعوا دعوى ضدّه ليحصلوا على المسرح بعدما اعتقدوا أنّ تعلّقه به عائد إلى الربح الذي يدرّه عليه. يضحك قبل أن يضيف: «لا يعلمون أنّ المسرح كان مصدر خسارة لي طوال 47 سنة. لقد هُدم مرتين في الحرب وأعدت إعماره فقط كي يبقى».

> لم يؤكد أحد بعد خبر هدم المبنى وإنشاء مركز تجاري مكانه كادر

يشعر سنّو بأسى تجاه خسارة «مسرح بيروت»، حتى إنّه يلوم الفنانين أكثر من غيرهم، فخصومه ربحوا المسرح بدعوى إخلاء. أي إنّه إذا أثبت المالك أنّ أحد المحال التجاريّة في عقاره بقي مقفلاً لسنة، يمكنه عندها استرجاعه. هكذا بعدما أقفل المسرح 5 سنوات بين 2004 و2009، أصبح سهلاً عليهم استرجاعه. «هذا المسرح يعني لي الكثير. خلقته وحافظت عليه، ثم خسرته في المحكمة لأنّه طوال 5 سنوات لم يطرق أيّ فنّان بابي ليطلب أن يقدّم عملاً فيه. ثمّ في السنتين الأخيرتين، قدّمته لهم مجاناً كي لا أخسره. واليوم يريدون الاعتصام من أجل المسرح. لعلّه الجيل الجديد. فليفعلوا، لكن بعد ماذا؟».

الآن، ونحن على حافة الخسارة، يرى المحامي نزار صاغية أنّ الطريقة الوحيدة لإنقاذ «مسرح بيروت» تكمن في أن تستملكه وزارة الثقافة أو بلدية بيروت؛ لكونه «مكاناً للمنفعة العامة، وهو من ذاكرة بيروت». أما الدعوة إلى الحفاظ عليه عبر تصنيفه مكاناً أثرياً، فيبدو ذلك

سرقوا منّا البحر... ليتركوا لنا المسرح!

روي ديب

فور تبلغنا خبر إقفال «مسرح بيروت»، قصدنا عين المريسة للوقوف على رأي أهل المنطقة الذين عاشوا علاقة جوار طويلة مع هذا المكان. رجل سبعيني من أبناء الحيّ، قال لنا: ««مسرح بيروت» ذو أهمية كبيرة. لكنّنا خسرنا ما هو أهمّ. أهل عين المريسة فقدوا أيضاً البحر، لقد سرقوه منّا... وتتوقع أن يتركوا لنا المسرح؟».

يقع المسرح في منطقة وصل بين وسط المدينة ومنطقة رأس بيروت التي كانت تشهد زمن افتتاحه، أي الستينيات، فورة ثقافية وسياسيّة. هذا الموقع جعله يؤدي دوراً أساسيّاً في احتضان ذلك الغليان. من هنا مثلاً، نوقشت لغة النصوص المسرحيّة المقدمة بالفرنسية، قبل أن تنتقل إلى العربيّة الفصحى ثم اللغة اللبنانيّة العامية الملتصقة بالجمهور، والمعبّرة عن همومه الثقافيّة والاجتماعيّة والسياسيّة.

كان 19 نيسان (أبريل) 1969 أحد أهم المفاصل في تاريخ المسرح اللبناني، حين اعترضت القوى الأمنية عرض «مجدلون» في «مسرح بيروت»، وأنزلت الممثلين قسراً عن المسرح. لكن يومها، قرّر الممثلون مواصلة المسرحية في الشارع، وراحوا يسيرون بالعرض مع الجمهور حتى شارع الحمرا، مقابل مقهى «هورس شو» حيث اصطدموا بالقوى الأمنية مجدداً، وأُوقف العرض مرة أخرى.

تُعَدّ هذه الحادثة مفصلية في تاريخ المسرح اللبناني. في «مجدلون»، مع ظهور شخصية الفدائي على المسرح، كان ذلك إحدى أولى علامات الارتباط العضوي بين المسرحيين والقضايا السياسية والاجتماعية المطروحة على الساحة الوطنية آنذاك. أما إجبار القوى الأمنيّة الممثلين على النزول عن المسرح، فدفعهم إلى جعل الشارع مسرحهم بمشاركة الناس الذين أصبحوا الجمهور الأكبر والأوسع. وهذا ما سيشهده «مسرح بيروت» لاحقاً مع تجربة «الحكواتي» التي كانت تتخذ من خشبته نقطة الانطلاق والعودة إليه في مسارها المتجول بين المدن والقرى. وخلال الحرب، استقبل المسرح اجتماعات حزبية وسياسية، وكان ملجأً للمحتمين، وحتى احتضن مجالس تعزية في عاشوراء.

يومها، كان «مسرح بيروت» الواقف على مشارف البحر، وعند أحد أبواب المدينة المطل على وسط بيروت المسلوب، يصرخ ضدّ آفة النسيان. قدم الفنانون أعمالاً تشهد على الحالة الحقيقية للمجتمع اللبناني، وتحاول فهم ما حصل خلال الحرب الأهلية، ومواجهته والتخلص منه. على خشبة «مسرح بيروت»، مثلوا ورقصوا وغنوا وعزفوا، وقرأوا أدباً وشعراً من أجل وطن حلم فيه كل فرد منهم... إنّه الفضاء نفسه الذي يسمح لجيل جديد، باحث عن هويّته فيما هو يحدّق إلى المستقبل، بأن يردّد مع ذلك الرجل السبعيني من أبناء عين المريسة: «هذا بحرنا، فأزيلوا أبراجكم كي نرى الأفق». على وقع هذا المطلب العفوي، دعت مجموعة مثقّفين وعاملين في مجال الفرجة، إلى التحرّك غداً كفعل احتجاج ومقاومة. الجيل الجديد من الفنّانين، يبدو مصرّاً على تحميل وزارة الثقافة مسؤوليّة حماية هذا الصرح، عبر إعلانه معلماً ثقافيّاً أو تراثيّاً يُمنع المساس به. القانون لا يلحظ مثل تلك المبادرات! غيّروا القانون.

> أدى دوراً في احتضان الغليان الذي شهدته المدينة في الستينيات

منذ بداية الشهر، تتوالى «مراسم الوداع» لـ«مسرح بيروت» على شكل أمسيات متتالية تطاول الفنون التي شهدها المكان على مرّ عقود. وسيكون الجمهور غداً على موعد مع رنين الشعّار. وبعد غد، نحن على موعد مع «مشروع كورال» الذي سيقدّم أعمالاً غنائية وضعت نصوصها وألحانها خلال ورشة العمل المقامة الآن.